اسم المادة: النص الأدبي القديم(نثر).
الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD
المحاضرة 02: الخطابة .
أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على الخطابة وأشهر الخطباء.

المحاضرة 02: الخطابة.

على الرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فإن الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع كالخطابة،
لا يمكن إنكار أثر الخطابة في تشكيل الكثير من الحوادث التاريخية؛ فطالما تحركت الجماهير نحو هدف عظيم أو معركة كبرى إثر خطبة رنَّانة مُلهمة شحذت الهمم في القلوب، وما الخطب التي سبقت الحملات العسكرية والمعارك الحربية الفاصلة بمجهولة، فيحدثنا التاريخ عن زعماء وأعلام امتلكوا ناصية الخطابة كـ «نيرون» و«موسوليني» حيث كانت قدراتهم فطرية؛ صقلتها بيئتهم المحيطة واطلاعهم، فكان من بيانهم سحر. وقد قدَّم المؤلف دراسة لأساليب هؤلاء الخطباء الإنشائية والبلاغية، ولاحظ حركات أجسادهم أو ما نسميه اليوم بـ «لغة الجسد»، كما درس أصواتهم وطريقة نطقهم، ليخرج بهذا الكتاب الذي يمكن اعتباره

دليلًا تعليميًّا في مخاطبة الجماهير، ذاكرًا ما يجب أن يتخذه الخطيب من وسائل لإيصال فكرته، مُخْتتِمًا كتابه بمجموعة من الخطب التاريخيَّة لزعماء سياسيين ورجال دين وأدباء؛ أمثال «لنكولن» و«الحجاج» و«فيكتور هوجو».

الخطابة لغة:

الخطابة من الخَطْب، وهو سبب الأمر، أو هو أمر شديد ينزل، أو هو أمر جليل، أو هو أمر وشأن صغر أو عظم

وخطب الخاطب على المنبر خَطابة وخُطبة، وذلك الكلام خطبة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع

وقيل(الخطبة) الواحدة من المصدر، كالقومة من القيامة، والجمع(الخطب). وخاطب مخاطبا وخطابا: وهو الكلام بين متكلم وسامع، وهو مراجعة الكلام

والاسم منها(الخاطب)، وإذا جعل وصفا لازما قيل(خطيب).

الخطابة اصطلاحا:

الخطابة: وهي الفن في مُخاطبة النّاس وإقناعهم عن طريق الكلام المُختَصر والبليغ الذي يحمل وقعاً في النّفس عند سماعه، وهي أقدم فنون النّثر في الأدب العربيّ، ولها ثلاثة أجزاء تتكوّن منها الخطبة، هي المُقدّمة، والموضوع، والخاتمة.

عرفت الخطابة بأنها: صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم، بترغيبهم، وإقناعهم

فمن أوضح ما قيل في تعريف الخطابة أنها عرِّفت بـــ: فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة

عُرِّفت الخطابة بتعاريف عديدة، لا يتباعد بعضها عن بعض ولكن منها ما ليس جامعاً لكل أنواع الخطبة وجزيئياتها، ومنها ما ليس مانعاً من دخول أشياء معها مثل: الوصايا والدروس والإعلانات وما شابه هذا.

وقد وردت تعاريف كثيرة للخطابة نأتي بنماذج منها:

الخطابة : فن مخاطبة الأخرين بطريقة القائيّة تشتمل على قوّة تتكلّف الاقناع الممكن في كل واحد من الامور المفردة، وهو ما يسمّى باليونانية الروطوريقا». ويقول الأستاذ ابراهيم البدوى» :إنّ الخطابة إحدى الفنون الراقية التي يحتاجها الانسان خاصةً العلماء والمفكرين ومبلغيي الرسالة الإلهية وخدمة أهل الوحي والائمة والسائرين على درب الإصلاح والتحرير والسالكين طريق القيادة والتدبير...»

نشأة الخطابة في العصر الجاهلي:

ازدهرت الخطابة عند العرب متأخرة في الزمن، لأن الشعر كان متفوقاً عليها، فلما أصبح الشعر مطية للتكسب صارت منزلة الخطيب هي المقدَّمة. واشتهر في العصر الجاهلي خطباء كثيرون، مثل: قس بن ساعدة الإيادي، وهانئ بن قبيصة الشيباني وعامر بن الظَّرب العدواني، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي وهاشم بن عبد مناف القرشي.

وقد تعددت أغراض الخطابة وأنواعها، إزاء هذا الازدهار، فكانت وسيلة للتحريض على القتال، أو للأخذ بالثأر، وربما كانت في الوقت نفسه سبيلاً إلى إصلاح ذات البين أو إرساء قواعد السلم. وقد تكون في إشاعة المفاخر، والإشادة بالأنساب أمام الملوك وزعماء القبائل، والأمراء. وكانت للخطباء سنن وتقاليد يتبعونها عند إلقاء خطبهم ، كأن يقف الخطيب على مرتفع من الأرض، معتمداً على قوسه، أو ممسكاً بعصا يشير بها، وقد يخطب راكباً على ناقته، وبيده الرمح، وقد لاث العمامة على رأسه

الخصائص الفنية للخطابة في العصر الجاهلي:

كان الخطباء يحرصون على أن تتوافر في خطبهم عدة خصائص، منها:

(أ)- وضوح الفكرة. (ب)- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.

(ج)- التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي. (د) قلة الصور البيانية.

(هـ)- مراعاة السجع في عباراتها لاسيما في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل.

(و)- كانوا يؤثرون قِصَر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال ، لغرض التأثير والإقناع.

(ز)- قد تطول الخطبة وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقدر من العناية.

مواصفات الخطيب:
ومما يمدح به الخطيب عندهم: حضور البديهة، وقلة التلفت، وقوة الجنان، وظهور الحجة، مع جهارة الصوت. وفي مقابل ذلك كانوا يعيبون على الخطيب التنحنح، والانقطاع، والاضطراب، والتعثر في الكلام
مواصفات الخطبة:
وقد استقرت للخطابة في العصر الجاهلي مجموعة من الخصائص الفنية، كان الخطباء يحرصون عليها في خطبهم، منها:
1- وضوح الفكرة.
2- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.
3- التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي.
4- قلة الصور البيانية.
5- مراعاة السجع في عباراتها لاسيما في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل.
6-كانوا يؤثرون قصر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، لغرض التأثير والإقناع.
7- قد تطول الخطبة وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقدر من العناية
أنواع الخطبة:
وتتنوع الخطابة بتنوع موضوعاتها:
-فهناك الخطابة الدينية
-الخطابة السياسية
-الخطابة الاحتفالية
-الخطابة القضائية
أغراض الخطابة الجاهلية:
دارت الخطابة الجاهلية في نطاق البيئة الّتي نشأت وترعرعت فيها، فكانت خطابة بطولة و فروسيّة يفوه بها الخطباء للدعوة الى القتال والحضّ على النزال، وكانت خطابة دفاع أو صلح وسلام؛ وكانت خطابة مفاخرة أومنافرة أمام حكم يحكم، أوفي حضرة ملكٍ تميل بميله كفّةُ الميزان.
وكانت خطابةُ زهدٍ تدعو الناس الى الصدوف عن بهارج الدنيا والتعلّق بحبال الاخرة؛ وكانت خطابة كهّان يسجعون سجع الحمام فى سبيل هدف غيبيّ يُطلقون وراءَه الاقاويل، وينصبون على جوانبه الأحابيل؛ كانت خطابةُ زواج يُعقَ ويبارک، أو خطابةُ موتٍيُلمّ فيفجع، ويرمي القلوب في هوّةٍ سحيقةٍ من الحزن، ويحمل على التأمّل في حقيقة الوجود؛ وكانت أخيراً خطابة وصايا يتوجه بها الطّاعنون في السنّ الى أبنائهم أحفادهم للسير بهم فى سبيل الخير والشرف....
وأما قيمةُ هذه الخطب من حيث الفصاحة والبلاغة نجدها في ذروة البيان خاصة عند الكهّان واشباههم من الذين يتسلّحون بذرابة اللسان وعنف البيان، ونستطيع القول بأنّ الأمة العربية قد بلغت من الفصاحة والبلاغة والبيان ما لم تبلغه أمة من الأمم قبلها أو بعدها وكان الشعراء والبلغاء هم فخر القبيلة وعزها ومجدها وإذا قالوا فقولهم كان بمثابة التنزيل عند أقوامهم وإذا تكلموا فكلامهم رافع خافض ، وبلغ من عز الكلمة وشرفها ومكانتها أن كانت تعلق في جدران الكعبة أقدس مكان عندهم وأعز بنيان لديهم وكان من أشهر خطباء العرب : قس بن ساعدة الإيادي ، وقيس بن خارجة بن سنانة خطيب داحس والغبراء ، وعتبة بن أبى ربيعة، سهيل بن عمرو الأعلم، ونفيل بن عبد العزّى، وأبو عمّار الطائي، وهانى بن قَبيِّصة، وسعد بن الربيع و...
أشهر خطباء الجاهلية:
هناك العديد من الخطباء في العصر الجاهلي ومن أشهرهم:
-قس بن ساعدة فهو أول من قال في خطبته : (أما بعد) وتسمى (فصل الخطاب)
-سهيل بن عمرو الذي اسلم وحسن اسلامه
-لبيد بن ربيعة
-هَرم بن قُطْبة الفَزاري